التفسير وعلوم القرآن

الهداية بين المنح والمنع في ضوء القرآن الكريم

"دراسة موضوعية"

إعـــداد

د. غالية بنت محمد بن حسن الرمثي البيشي

تخصص القرآن وعلومه. كلية التربية. جامعة بيشة. المملكة العربية السعودية

مجلة الكلية

الهداية بين المنح والمنع في ضوء القرآن الكريم
"دراسة موضوعية"

غالية بنت محمد بن حسن الرمثي البيشي
قسم القرآن وعلومه ـ كلية التربية ـ جامعة بيشة ـ المملكة العربية السعودية
البريد الإلكتروني: g.mh2010@hotmail.com

ملخص البحث:

تبرز أهمية وقيمة هذا الموضوع من خلال معايشة حال من منعوا الهداية، ومن حرموا التوفيق الرباني مما يجعل المؤمن يبتعد عن الأسباب التي أوقعتهم في سوء أعمالهم، فيتجنبها قدر المستطاع، ومعرفة أحوال من هدوا إلى الصراط المستقيم فيلامس النفس، ويداوي القلب مما يلاقاه من الشدائد والبلايا في هذا العصر، فيكون القرآن الكريم قد حقق مقصده من الانتفاع به، وكونه شفاء لما في الصدور. وقد استُخدِم في البحث المنهج الاستقرائي، والاستنباطي والتحليلي عن طريق جمع الآيات القرآنية التي ورد فيها لفظ «الهداية»؛ وإبراز معانيها في السياق الذي وردت فيه، مع استنباط من مُنحوا الهداية الإلهية، ومن حرموا منها، فلم يوفقوا إليها، ثُمَّ تنظيم ذلك؛ ووضعه في المباحث الخاصة بها. تبين من خلال هذه الدراسة أن الذين «مُنحوا الهداية في القرآن الكريم» كُثُر منهم: الأنبياء والرسل – عليهم السلام-، ومن شاء الله هدايتهم من الأولياء والصديقين، وأهل الإيمان، والعمل الصالح، والذين قتلوا في سبيل الله – عز وجل-. بينما من «منعوا الهداية في القرآن الكريم» هم: الكافرون، الظالمون، الفاسقون، كيد الخائنين، الضالون، الكاذبون، المسرفون. يوصي الباحث الباحثين أن يدققوا النظر في "اللفظة القرآنية"، ويقفوا مع جمال تركيبها، وحسن التعبير بها، وما تحملها من أسرار بيانية، وإشارات تربوية حيث فيها زاد لمن أراد ذلك.

الكلمات المفتاحيَّة: المنح، الهداية، موضوعية، دراسة، المنع، ضوء.

Hidayah between Granting and Withholding in the light of the Holy Qur'an, Objective study

Ghaliah bint Mohammed bin Hassan Al-Ramthi Al-Bishi
Specialization: Qur'an and its Sciences, College of Education, Bisha University, Kingdom of Saudi Arabia
e-mail: g.mh2010@hotmail.com

Research Summary:

The importance and value of this topic is highlighted by experiencing the condition of those who have been denied guidance and those who have been denied divine success, which makes the believer stay away from the causes that led them to their bad deeds, avoid them and avoid others as much as possible, and knowing the conditions of those who have been guided to the straight path touches the soul and heals the heart from the hardships and afflictions he faces in this age, so that the Holy Qur'an fulfills its purpose of being utilized and healing what is in the heart. The research used the inductive, deductive and analytical method by collecting the Qur'anic verses in which the word “guidance” is mentioned; highlighting their meanings in the context in which they are mentioned; deducing those who were granted divine guidance and those who were denied it, then organizing this and placing it in its own investigations. Through this study, it was found that those who were “granted guidance in the Holy Qur'an” are many of them: The Prophets and Messengers - peace be upon them - and those whom Allah willed to guide, including the saints and friends, people of faith, righteous deeds, and those who were killed in the way of Allah - the Almighty. While those who “prevented guidance in the Holy Qur'an” are: The unbelievers, the unjust, the depraved, the traitors, the misguided, the liars, and the prodigals. The researcher recommends researchers to take a closer look at the “Qur'anic word”, and stand with the beauty of its structure, its good expression, and the secrets it carries, as well as educational references, as there is more for those who want it.

Keywords: Granting, Hidayah, Objective, Study, Withholding, Light**.**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، منزل القرآن بلسان عربي مبين، والصلاة والسلام على محمد ﷺ ،. خاتم النبيين والمرسلين، ورضي الله عن صحابته الغر الميامين، وعمن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين،،، أما بعد:

فإن نعمة الهداية نعمة لا تعدلها نعمة، وحاجة القلوب إلى هدايتها من ربها أحوج من حاجة البدن إلى الطعام؛ فهي نعمة تلحق المؤمن آثارها في هذه الدنيا فيعيش سعيداً مطمئناً؛ فإذا تعددت سبل الغواية، ودعت إليها الدواعي والمغريات دعاً؛ فهو بحاجةٍ ماسةٍ إلى أن يرى برهان ربه – عَزَّوَجَلَّ-، وأن يسطع نور الهداية في فؤاده، وذلك من خلال النظر في أحوال المهتدين من النبيين – عليهم السلام- والصديقين والصالحين؛ ليكون زاداً له في دار اليقين قال تعالى- عقب الحديث عن الرسل-:﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ۗ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ﴾[الأنعام: ٩٠].

ثم تلحق الهداية المؤمن آثارها في الساعات الحرجة، واللحظات الصعبة حينما تزول الحجب، وتنكشف الحقائق في الآخرة قال تعالى: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾[طه: ١٢٣].

وهناك صنف من الخلق قد انتكست فطرتهم، ونكبوا عن الجادة، وحادوا عن الصراط المستقيم، فحرموا الهداية إلى الإيمان بالله رب العالمين﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾[الكهف: ١٧]؛ وقد أردت معايشة الصنفين من منحوا الهداية ومن حرموا منها في ضوء آيات القرآن الكريم؛ فجاء بحثي هذا الموسوم ب: **((الهداية بين المنح والمنع في ضوء القرآن الكريم- دراسة موضوعية))**.

هذا، والله أسأل أن يوفقني لما يحب ويرضى، وصلى الله وسلم وبارك على الحبيب المصطفى والنبي المجتبى وعلى آله وصحبه أجمعين.

أسباب اختياري للموضوع:

ثمة أسباب عديدة دفعتني لاختيار هذا الموضوع، أذكر منها:

أولاً: الحرص على معايشة الموضوعات التي تلامس النفس، وتداوي القلب مما يلاقاه من الشدائد والبلايا في هذا العصر، فيكون القرآن الكريم قد حقق مقصده من الانتفاع به، وكونه شفاء لما في الصدور.

ثانياً: الاطلاع على من منعوا الهداية، وحرموا التوفيق الرباني مما يجعل المؤمن يبتعد عن الأسباب التي أوقعتهم في سوء أعمالهم، فيتجنبها قدر المستطاع.

ثالثاً: الهداية الإلهية مطلب عزيز، ومقصد عظيم، وغاية تسمو إليها الطباع المستقيمة، وهناك صنف من الخلق اصطفاهم الله – تعالى- فحققوا هذه الهداية، فما أعظم أن نطالع أحوالهم، ونحذو حذوهم.

رابعًا: دراسة لفظ الهداية في القرآن الكريم للوقوف على فهمها فهما صحيحا يتفق مع العقيدة الصحيحة، وأن الهداية نوعين: توفيق ودلالة وإرشاد.

حدود البحث:

اقتصرت الدراسة على جمع الآيات القرآنية التي ورد الحديث فيها عمن «منحوا الهداية، ومنعوا منها» دون التطرق إلى غيرها إلا ما استدعاه المقام والحاجة .

مشكلة البحث، وتساؤلاته:

يمكن أن تظهر مشكلة البحث من خلال الإجابة على التساؤلات التالية:

١. ما مفهوم «الهداية في اللغة والاصطلاح، وأقسامها»؟

٢. كم عدد المرات التي ورد فيها لفظ «الهداية» في القرآن الكريم؟

٣. من هم الذين منعوا «الهداية» كما جاء في الآيات القرآنية؟

٤. من هم الذين منحوا «الهداية» في القرآن الكريم؟

الدراسات السابقة:

بعد البحث والاستقراء لم أقف – حسب طاقتي- على دراسة علمية تناولت **((الهداية بين المنح والمنع في ضوء القرآن الكريم- دراسة موضوعية-))**، من الناحية التفسيرية الموضوعية؛ من هنا عقدت العزم، واستعنت بالله – عَزَّوَجَلَّ- لدراسة هذا

الموضوع.

[١] وقد وجدت دراسة تحت عنوان "الهداية والمهتدون في ضوء القرآن الكريم"، للباحثة/ أمل عمر محمود العزامي، وهناك ثمة فروق بين بحثي هذا والبحث المنشور، يتضح ذلك من خلال الآتي:

أولاً: الخطة مختلفة سوى ما اقتضاه البحث من وجود التشابه في التعاريف الواردة في الموضوع.

ثانياً: لم يتعرض البتة البحث السابق عمن منعوا الهداية من الله – عَزَّوَجَلَّ- بينما أفردت مبحثاً كاملاً هنا يتكون من ثمانية مطالب للحديث عن ذلك مفصلاً.

ثالثاً: أقوم بالتركيز على مواطن الجمال في التعبير القرآني ومعالجتها معالجة تربوية، وربطها بالواقع المعيش.

رابعاً: لم يتعرض الباحث في البحث السابق للذين مُنحوا الهداية كمن قتلوا في سبيل الله – عَزَّوَجَلَّ-، وكذا أهل الإيمان والعمل الصالح، وإنما اكتف بذكر نماذج من المهتدين من غير الأنبياء، بينما البحث هنا سيكون الحديث فيه عاماً دون تخصيص.

[٢] الهداية في القرآن الكريم ومضامينها التربوية، د/ عبد الرحمن بن سعيد بن حسين الحازمي، وقد انصب البحث في الكلام عن أوصاف القرآن الكريم، وكونه هدى للناس أجمعين، مع ذكر بعض المضامين التربوية المستنبطة من آيات الهداية.

منهجي في البحث:

لقد استخدمت المنهج الاستقرائي، والاستنباطي والتحليلي في هذا البحث عن طريق جمع الآيات القرآنية التي ورد فيها لفظ «الهداية»؛ وإبراز معانيها في السياق الذي وردت فيه، مع استنباط من مُنحوا الهداية الإلهية، ومن حرموا منها، فلم يوفقوا إليها، ثُمَّ تنظيم ذلك؛ ووضعه في المبحث الخاص به، وعزوه إلى مواضعه من سوره حسب ما جاء في القرآن الكريم، مستعيناً بأقوال أهل العلم، مراعياً الدقة والأمانة في عزو المعلومات إلى مصادرها المعتبرة.

خطة البحث:

اشتمل البحث على مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وفهارس.

- **المقدمة:** احتوت على سبب اختياري للموضوع، ومشكلة البحث، وتساؤلاته، والدراسات السابقة، ومنهجي فيه، وخطة البحث.
- **المبحث الأول: وقفة مع لفظ «الهداية» في القرآن الكريم، ويشتمل على ثلاثة مطالب:**

المطلب الأول: معنى «الهداية في اللغة والاصطلاح».

المطلب الثاني: أنواع «الهداية» كما جاءت في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: ورود لفظ «الهداية» في القرآن الكريم.

- **المبحث الثاني: «من منحوا الهداية في القرآن الكريم» ويشتمل على أربعة مطالب:**

المطلب الأول: الأنبياء والرسل – عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ- .

المطلب الثاني: من شاء الله هدايتهم من الأولياء والصديقين.

المطلب الثالث: أهل الإيمان، والعمل الصالح.

المطلب الرابع: الذين قتلوا في سبيل الله – عَزَّوَجَلَّ-.

- **المبحث الثالث: «من منعوا الهداية في القرآن الكريم»، ويشتمل على سبعة مطالب:**

المطلب الأول: الكافرون .

المطلب الثاني: الظالمون.

المطلب الثالث: الفاسقون.

المطلب الرابع: كيد الخائنين.

المطلب الخامس: الضالون.

المطلب السادس: الكاذبون.

المطلب السابع: المسرفون.

- **الخاتمة:** تتضمن أهم النتائج والتوصيات.
- **الفهارس:** تشتمل على أهم المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

واسْأل الله – عَزَّوَجَلَّ– العون والسداد، وأنْ يكون بحثي نافعاً للعباد، كما أضرع إليه

– عَزَّوَجَلَّ- أن يجعل هذا البحث خالصاً له، وأن يوفقني على إخراجه على الصورة المرضية، وهو حسبي ونعم الوكيل.

المبحث الأول
وقفة مع لفظ «الهداية» في القرآن الكريم
المطلب الأول
معنى «الهداية في اللغة والاصطلاح»

يجدر بي أن أعرج على بيان لفظ «الهداية» لغة واصطلاحاً، فأقول– وبالله التوفيق-:

معنى «الهداية» لغة: مصدر من الفعل الثلاثي "هدى": يؤنَّث ويذكَّر، يقال: هَداهُ الله للدين هدى، وهي الرشاد والدلالة والبيان، وضده: الضلال، ومِنْ أَسماء اللَّهِ تعالى: الهَادِي؛ قال ابْنُ الأَثير: هُوَ الَّذِي بَصَّرَ عِبادَه وعرَّفَهم طَرِيقَ مَعْرِفَتِهِ حَتَّى أَقرُّوا برُبُوبيَّته، وهَدى كُلَّ مَخْلُوقٍ إِلى مَا لَا بُدَّ لَهُ مِنْهُ فِي بَقائه ودَوام وجُوده[1].

قال ابن فارس: ("هدى": الهاء والدال والحرف المعتل: أصلان أحدهما: التقدم للإرشاد، والآخر: بعثه بلطفٍ، فالأول: قولهم: هديته الطريق هداية، أي: تقدمته لأرشده.

وَيُنْشَعَبُ هذا فيقال: الهدى: خلاف الضلالة، والأصل الآخر: الْهَدِيَّةُ: ما أهديت من لطف إلى ذي مودةٍ، يقال: أهديت أُهْدِي إهداء، والْمِهْدَى: الطبق تُهدي عليه)[2].

ثمَّ إِن فعل "الْهِدَايَة" مَتى عدي ب "إِلى" تضمن الإيصال إِلَى الْغَايَة الْمَطْلُوبَة، وَمَتى عُدِّي بِ "اللَّامِ" تضمن التَّخْصِيص بالشَّيْء الْمَطْلُوب، وَإِذا تعدى بِنَفسِهِ تضمن المعنى الجامع لذَلِك كُله، وهو التعريف والبيان والإلهام[3].

معنى «الهداية» اصطلاحاً: ذكر أهل العلم عدة تعريفات في معنى "الهداية"، منها: "الدلَالَة على طَرِيق من شَأْنه الإيصال بتعريف معالمِهِ، وتبيين مسالكِه من غير أن يُشترط في مدلولها الوصولُ ولا القبول فِي وَقت الاهتداء"[4].

---

(١) انظر: الصحاح، (٦/ ٢٥٣٣)، ومختار الصحاح، (ص ٣٢٥)، ولسان العرب، (١٥/ ٣٥٣)،(هـ دى).

(٢) معجم مقاييس اللغة، (٦/ ٤٢، ٤٣)،(هـ د ى).

(٣) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية لأبي البقاء الكفوي، (ص ٩٥٣، ٩٥٤)، ط: مؤسسة الرسالة.

(٤) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، (١/ ٢٧)، ط: إحياء التراث العربي.

ولعل أقرب التعاريف هو "الإرشاد والتوفيق والتبيين أو الإلهام أو الدلالة بلطف على ما يوصل إلى البغية"[١]

وأقول أن: (الاختلاف في هذه القوال اختلاف تنوع سببه العموم في لفظ "هدى" ولا مانع من أن تكون كل هذه الأقوال مرادة في الهداية، فهي تندرج تحتها والآية بعمومها تتناول جميع الأقوال"[٢]

المطلب الثاني
أنواع «الهداية» كما جاءت في القرآن الكريم

ورود اللفظ الواحد على معان متعددة في القرآن يعرف بالوجوه :

الوجه الأول: هداية (عامة) التي عم بجنسها كل مكلف من العقل، والفطنة، والمعارف الضرورية التي أعم منها كل شيء بقدر فيه حسب احتماله كما قال تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[طه: ٥٠].

قال ابن الجوزي: ("ثُمَّ هَدى" ثلاثة أقوال: أحدها: هدى كيف يأتي الذَّكَرُ الأنثى، الضحاك عن ابن عباس، وبه قال ابن جبير، والثاني: هدى للمنكح والمطعم والمسكن، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، والثالث: هدى كل شيء إلى معيشته، قاله مجاهد)[٣].

الوجه الثاني: الهداية التي جعل للناس بدعائه إياهم على ألسنة الأنبياء، وإنزال القرآن ونحو ذلك، وهو المقصود بقوله:﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا﴾[الأنبياء: ٧٣].

الوجه الثالث: (هداية خاصة): وهي التوفيق الذي يختص به من اهتدى، وهو المعني بقوله تعالى:{إِنَّكَ لَا تَهۡدِى مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِى مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ}[القصص: ٥٦]، وقوله سبحانه: {وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗى﴾[مريم: ٧٦].

---

(١) فتحُ البيان في مقاصد القرآن، (١/ ٥٠).

(٢) قاله القرطبي. (١١ / ٢٠٥)

(٣) زاد المسير في علم التفسير، (٣/ ١٦١).

الوجه الرابع: الهداية في الآخرة إلى الجنة المعني بقوله:﴿سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ﴾[محمد: ٥]، وقوله تعالى: ﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ﴾ [الأعراف: ٤٣].

وهذه الهدايات الأربع مترتبة، فإن من لم تحصل له الأولى لا تحصل له الثانية بل لا يصح تكليفه، ومن لم تحصل له الثانية لا تحصل له الثالثة والرابعة، ومن حصل له الرابع فقد حصل له الثلاث التي قبلها، ومن حصل له الثالث فقد حصل له اللذان قبله ثم ينعكس، فقد تحصل الأولى ولا يحصل له الثاني ولا يحصل الثالث، والإنسان لا يقدر أن يهدي أحدا إلا بالدعاء وتعريف الطرق دون سائر أنواع الهدايات(١).

المطلب الثالث
ورود لفظ «الهداية» في القرآن الكريم

الناظر في آي الذكر الحكيم يجد أن لفظ «الهداية» قد ورد فيها على معان كثيرة منها:

الأول: البيان قال تعالى:﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ﴾[فصلت: ١٧]، أي: بينا لهم.

الثاني: الطريق قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسۡتَقِيمٍ﴾ [الحج: ٦٧]، أي: على طريق قويم وهو الإسلام.

الثالث: اللطف قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدًى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ﴾ [محمد: ١٧]، أي: الذين اهتدوا إلى الإيمان بألطافنا زدناهم ألطافاً ثواباً لأعمالهم ليزدادوا إيماناً.

---

(١) انظر: المفردات في غريب القرآن، (ص ٨٣٥، ٨٣٦)، وعمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، للسمين الحلبي (٤/ ٢٤٤)- ط:١: دار الكتب العلمية، ١٤١٧ هـ- ١٩٩٦ م.

الرابع: الهادي وهو المرشد، قال: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧]، أي: مرشد يريد أنك هاد ومرشد لكل أحد، وفيه وجه آخر وهو أنك مرشد ولكل قوم مرشد.

الخامس: الدعاء، قال الله: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨١]، أي: يدعون، وقال: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟﴾ [السجدة: ٢٤]، أي: يدعون.

السادس: المعرفة، قال الله: ﴿قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [النمل: ٤١]، أي: تعرف، ونحوه: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦]، أي: يعرفون الطرق.

السابع: أمر محمد - ﷺ -، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٥٩]، ومثله: ﴿وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ﴾ [محمد: ٣٢]، يعني: ما بين الله في التوراة والإنجيل من أمر محمد - ﷺ -.

الثامن: الاستنان بسنن الماضين، قال الله: ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢]، أي: مستنون.

التاسع: الإلهام، قال: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠]، قالوا: صور الخلق وألهمه أمر معاشه، وعندنا أنه أراد إلهام المعاش لمن يلهم ذلك وإعلامه من يعلم، وقد دخل ذلك في قوله: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ ومعنى هدى: أنه هدى المكلفين أي: بينه لهم.

العاشر: الإصْلاح، قال: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٢]، أي: لا يصلحه بمعنى أنه لا يخبر بأنه صلاح.

الحادي عشر: دين الْإِسْلَام؛ وَمِنْه قَوْله: ﴿قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٢٠].

الثاني عشر: الْقُرْآن، وَمِنْه قَوْله تَعَالَى فِي بني إِسْرَائِيل: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا﴾ [الإسراء: ٩٤].

الثالث عشر: التَّوْرَاة وَمِنْه قَوْله تَعَالَى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡهُدَىٰ﴾ [غافر: ٥٣].

الرابع عشر: التَّعْلِيم، وَمِنْه قَوْله تَعَالَى: ﴿وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾[النساء: ٢٦].

الخامس عشر: الْفضل، وَمِنْه قَوْله تَعَالَى: ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٥١] أَي: أفضل.

السادس عشر: التَّقْدِيم، وَمِنْه قَوْله تَعَالَى: ﴿فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٢٣].

السابع عشر: الثَّبَات، وَمِنْه قَوْله تَعَالَى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦] أَي: ثبتنا عَلَيْهِ[1].

---

(١) انظر: الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري، (ص٤٩٧: ٤٩٩)، ت: محمد عثمان- ط: ١: مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م، ونزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر لابن الجوزي (ص ٦٢٦: ٦٣٠)، ت: محمد عبد الكريم كاظم الراضي- ط: ١: مؤسسة الرسالة – لبنان، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

الثامن عشر: الاسترجاع عند المصيبة تعالى: ﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١].

التاسع عشر: التوبة قال تعالى: ﴿إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

العشرون: الرسل والكتب[١] قال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ﴾ [البقرة: ٣٨].

(١) انظر: الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز، للدامغاني، (ص ٤٥٧، ٤٥٨)، ت: عربي عبد الحميد علي، الناشر: درا الكتب العلمية- بيروت- الطبعة الأولى، والمعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد عبد الباقي، (ص ٧٣١: ٧٣٦).

المبحث الثاني
«من منحوا الهداية في القرآن الكريم»
المطلب الأول
الأنبياء والرسل ـ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

اصطفى الله- عَزَّوَجَلَّ- أنبياءه ورسله – عَلَيْهِمُ السَّلَامُ- من بين خلقه فقال تعالى:﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ﴾[الحج: ٧٥]، وقال أيضاً: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ * ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣٣: ٣٤].

وكان من مستلزمات هذا الاصطفاء أن هداهم الله – سبحانه- وليس معنى ذلك أنهم كانوا ضلالاً قبل ذلك، وإنما حاوزا الهداية وأشربوها حتى تمت لهم على أكمل الوجوه، وأعلى المراتب، فعصمهم الله – تعالى- من الذنوب صغيرها وكبيرها، جليلها وحقيرها قال تعالى- في ثنايا الحديث عن ثمانية عشر نبياً ورسولاً – عَلَيْهِمُ السَّلَامُ-: ﴿وَمِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ وَإِخۡوَٰنِهِمۡۖ وَٱجۡتَبَيۡنَٰهُمۡ وَهَدَيۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ * ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٧: ٨٨].

ثم عقب عليهم جميعاً بقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٩٠].

امتن الله – عَزَّوَجَلَّ- على الأنبياء – عَلَيْهِمُ السَّلَامُ- وتفضل بالهداية والتوفيق للتوحيد الخالص، والتبرىء من الشرك والوثنية، فهم جمعوا رتب الكمال البشري، والهدى الكامل، ولذلك سبب عن مدحهم قوله تعالى: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾ [1]، وللمفسرين في معنى

(١) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، (٧/ ١٨٣)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي،

ذلك أقوال:

أحدهما: بشرائعهم وبسننهم فاعملْ إلا ما خَصَّهُ الدليل على هذا، فالآية دَلِيلٌ على أن شَرْعَ من قبلنا يلزمنا قاله ابن السائب.

الثاني: الِاقْتِدَاءُ بِهِمْ فِي جَمِيعِ الْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ وَالصِّفَاتِ الرَّفِيعَةِ الْكَامِلَةِ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى أَذَى السُّفَهَاءِ وَالْعَفْوِ عَنْهُمْ(١).

الثالث: الأمر الذي أجمعوا عليه، وهو التوحيد والتَّنْزِيه عن كُلّ ما لا يَلِيقُ بالباري سبحانه في الذَّاتِ والصِّفاتِ والأفْعَالِ وسائر العقليات.

والراجح – والله أعلم- هو ما نص عليه ابن عطية فقال: ("أُولئِكَ": المذكورين قبل من الأنبياء ومن معهم من المؤمنين المهديين، ومعنى الاقتداء اتباع الأثر في القول والفعل والسيرة، وإنما يصح اقتداؤه بجميعهم في العقود والإيمان والتوحيد الذي ليس بينهم فيه اختلاف، وأما أعمال الشرائع فمختلفة، وقد قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨])(٢).

ومما يدل على منح الله الهداية لرسله وأنبيائه أن جلهم ولدوا ونشأوا في بيئات تعج بالشرك، ومظاهر الضلال لكنهم استنطقوا فطرتهم السوية، وأعملوا عقولهم، فهداهم الله للتوحيد الصافي(٣)، فتأمل قول إبراهيم – عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ [الأنعام: ٧٧] إلى أن أعلنها صراحة﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ [الزخرف: ٢٦: ٢٧]؛ وكذا موسى وهارون–

=

القاهرة.

(١) انظر: زاد المسير في علم التفسير، (٢ / ٥٢)، ومفاتيح الغيب، (١٣/ ٥٦)، والبحر المحيط، (٤/ ٥٧٨)، واللباب في علوم الكتاب، (٨/ ٢٧٢).

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٢ / ٣١٨) .

(٣) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (٢ / ١٦٩) .

عَلَيۡهِمَاٱلسَّلَامُ-﴿وَهَدَيۡنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الصافات: ١١٨] أي: دللناهما على الطريق الموصل إلى الحق والصواب عقلاً وسمعاً[١]، وامتن أيضاً على نبينا محمد ـ ﷺ ـ فهداه إلى النبوة والحق والخير والجمال قال تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ﴾ [الضحى: ٧]، قيل: وجدك لا تعرف الحق فهداك إليه، وقيل: ضالاً عما أنت عليه من أمر النبوة والشريعة فهداك إليهما، وقيل: في قوم ضلال أي: فكأنك واحد منهم[٢].

قال الواحدي: (قال أكثر المفسرين: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ﴾ عن معالم النبوة، وأحكام الشريعة، غافلًا عنها، فهداك إليها)[٣].

المطلب الثاني
من شاء الله هدايتهم من الأولياء والصديقين

أخبر القرآن الكريم أن بعض الخلق قد شاء الله – عَزَّوَجَلَّ- هدايتهم؛ لأنه علم فيهم أزلاً استحقاقهم لها ، وصدق عزيمتهم، وخالص نيتهم، وحسن توكلهم، ومن هؤلاء ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النساء: ٦٩]؛ وكأصحاب الكهف: ﴿إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى﴾ [الكهف: ١٣]، ومؤمن آل فرعون﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ﴾ [غافر: ٣٣] وغيرهم، وعلى النقيض هناك

(١) انظر: السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، (٣ / ٣٨٩) .

(٢) انظر: زاد المسير، (٤/ ٤٥٨)، وفتح القدير، (٥/ ٥٥٨).

(٣) الوسيط في تفسير القرآن المجيد، الواحدي، (٤/ ٥١١)، ط: ١: دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٤١٥هـ

من انتكست فطرتهم، وخارت عزائمهم، فحرموا نعمة الهداية كالمنافقين والمشركين ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنفال: ٢٣].

من يستقرىء آيات الهداية الخاصة يجد أن الله – سبحانه- قد نسبها لذاته المقدسة، فهو – تعالى- يسدد من يشاء من خلقه، ويُرشده إلى الطريق القويم على الحق الذي لا اعوجاج فيه[١] فقال تعالى: ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ﴾ [الشورى: ٥٢]، وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النور: ٤٦]، وقوله: ﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [يونس: ٢٥].

قال ابن عاشور: (أَيْ نَخْلُقُ بِسَبَبِهِ الْهِدَايَةَ فِي نُفُوسِ الَّذِينَ أَعَدَدْنَاهُمْ لِلْهُدَى مِنْ عِبَادِنَا؛ فَالْهِدَايَةُ هُنَا هِدَايَةٌ خَاصَّةٌ، وَهِيَ خَلْقُ الْإِيمَانِ فِي الْقَلْبِ)[٢].

إن هذه الآيات التي وردت في الهداية: أخبر الله -عَزَّوَجَلَّ- أن من آمن به وبرسوله ـ ﷺ ـ، وقرن ذلك بالعمل الصالح فقد تحققت له الهداية التامة في الدنيا؛ فعَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ـ ﷺ ـ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: «**يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، آمَنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟ قَالَ: «**نَعَمْ، إِنَّ القُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ**»[٣].

---

(١) التحرير والتنوير، (٢٥/ ١٥٤).

(٢) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، (٤/ ٢٨٦).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، (باب القدر)، بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ القُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيِ الرَّحْمَنِ، (٤/ ٤٤٨ رقم ٢١٤٠)، وقال: "وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ"، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، ط: ٢: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، ١٣٩٥ هـ، وابن ماجه في سننه، بَابُ دُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ـ ﷺ ـ، (٢/ ١٢٦٠ رقم ٣٨٣٤)، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.

لقد اختص الله – عز وجل- من وفقهم للهداية تفضلاً منه وتكرماً قال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ * يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [آل عمران: ٧٣: ٧٤]، وقال أيضاً: ﴿وَأَنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢٩].

المطلب الثالث
أهل الإيمان، والعمل الصالح

لقد أخبر الله – عَزَّوَجَلَّ- في كتابه العزيز أن من آمن به – سبحانه، وبنبيه – ﷺ -، ثم أضاف إلى ذلك بالعمل الصالح، تحققت له الهداية التامة في الدنيا والآخرة فقال سبحانه: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا﴾ [النساء: ١٧٥]، وقال أيضاً: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [يونس: آية ٩].

قال ابن جرير: (﴿وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ﴾ يقول: ويوفقهم لإصابة فضله الذي تفضل به على أوليائه، ويسدِّدهم لسلوك منهج من أنعم عليه من أهل طاعته، ولاقتفاء آثارهم واتباع دينهم؛ وذلك هو "الصراط المستقيم"، وهو دين الله الذي ارتضاه لعباده، وهو الإسلام).[1]

وقال ابن كثير: (﴿وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ﴾ أَيْ طَرِيقًا وَاضِحًا قَصْدًا قَوَامًا لَا اعْوِجَاجَ فِيهِ وَلَا

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، (٩/ ٤٢٩).

انْحِرَافَ، وَهَذِهِ صِفَةُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَهُمْ فِي الدُّنْيَا عَلَى مِنْهَاجِ الِاسْتِقَامَةِ وَطَرِيقِ السَّلَامَةِ فِي جَمِيعِ الِاعْتِقَادَاتِ وَالْعَمَلِيَّاتِ، وَفِي الْآخِرَةِ عَلَى صِرَاطِ اللَّهِ المستقيم المفضي إلى روضات الجنان).[1]

وقوله: ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ جمع صالحة، وكانت العرب تطلق لفظة "الصالحة" على الفعلة الطيبة كإطلاق اسم الجنس؛ لتناسب الوصفية، كما شاع ذلك الإطلاق في "الحسنة" مراداً بها الفعلة الطيبة[2]، "فالصالحات تشمل جميع الأعمال قولاً كانت أو فعلاً تتحقق الهداية للعبد في دار الفناء والبقاء.

والعمل الصالح كي يكون مقبولا عند الله- سبحانه- ينبغي أن يتوافر فيه شرطان أساسيان هما:

الشرط الأول: تحقق الإخلاص لله – عَزَّوَجَلَّ- بأن يكون الباعث على العمل ابتغاء وجهَ الله لا الرياء وطلب الحمد من الناس، أو إرادة نفع من حطام الدنيا؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ: **"قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ"**[3].

الشرط الثاني: موافقة هذا العمل لسنة النبي ـ ﷺ ـ وهديه، وقد لخص الله هذين الشرطين في قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

مما سبق يتبين لنا أن "أهل الإيمان، والعمل الصالح" قد منحوا الهداية في أسمى صورها، فهم في الدنيا يحيون حياة طيبة، خالصة من الذنوب والمكدرات، وفي الآخرة لهم

---

(١) تفسير القرآن العظيم، (٢/ ٤٢٨).

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي،(٣ / ١٩٧)، الناشر : دار الفكر، بيروت – لبنان، عام النشر : ١٤١٥ هـ.

(٣) أخرجه مسلم في "صحيحه"، كِتَابُ الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ، بَابُ مَنْ أَشْرَكَ فِي عَمَلِهِ غَيْرَ اللهِ، (٤ / ٢٢٨٩ رقم ٢٩٨٥).

الجنات العاليات، فهم منحوا الهداية الدنيوية والأخروية قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

قال الإمام ابن الجوزي: (قوله: ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: يهديهم إلى الجنة ثواباً بإيمانهم. الثاني: يجعل لهم نوراً يمشون به بإيمانهم. الثالث: يزيدهم هدى بإيمانهم. الرابع: يثيبهم بإيمانهم، فأما الهداية فقد سبقت لهم)[1]. أ.هـ، فالاختلاف هنا تنوع سببه عموم اللفظ، فيشمل معناها هذه الأقوال وغيرها مما يندرج تحت مسمى الهداية.

وقال ابن عاشور: (هِدَايَتِهِمْ إِلَى الْخَيْرَاتِ بِجَعْلِ اللَّهِ، بِأَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْإِيمَانِ نُورًا يُوضَعُ فِي عَقْلِ الْمُؤْمِنِ وَلِذَلِكَ النُّورِ أَشِعَّةٌ نُورَانِيَّةٌ تَتَّصِلُ بَيْنَ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ وَبَيْنَ عَوَالِمِ الْقُدْسِ فَتَكُونُ سَبَبًا مِغْنَاطِيسِيًّا لِانْفِعَالِ النَّفْسِ بِالتَّوَجُّهِ إِلَى الْخَيْرِ وَالْكَمَالِ لَا يَزَالُ يَزْدَادُ يَوْمًا فَيَوْمًا، وَلِذَلِكَ يَقْتَرِبُ مِنَ الْإِدْرَاكِ الصَّحِيحِ الْمَحْفُوظِ مِنَ الضَّلَالِ بِمِقْدَارِ مَرَاتِبِ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ)[2]. أ.هـ.

المطلب الرابع
الذين قتلوا في سبيل الله ـ عَزَّوَجَلَّ ـ

أخبر القرآن الكريم أن "الجهاد في سبيل الله، وبذل النفس" من أعظم أسباب منح الهداية للعبد في الدنيا والآخرة فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ

(١) زاد المسير في علم التفسير، (٢ / ٣١٨).

(٢) التحرير والتنوير، (١١ / ١٠١).

* سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ [محمد: ٤، ٥]، وقال أيضاً: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

الإنسان يميل إلى حب الدنيا والملذات، وتتثاقل نفسه إلى الأرض كلما دعاها داعي الجهاد، فهو يؤثر البقاء في المال والأهل والوطن قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْأَخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِي ٱلْأَخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨] .

فبين– سبحانه- أن الذين قتلوا في سبيل الله ستحقق لهم الهداية آجلاً وعاجلاً بما أعده لهم من النعيم المقيم، والأجر العظيم قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتَاۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩، ١٧٠].

وقد تنوعت عبارة المفسرين في "كيفيات هذه الهداية"، وإليك بعض أقوالهم في ذلك:

قال البغوي: (سيهديهم أيام حياتهم في الدنيا إلى أرشد الأمور، وفي الآخرة إلى الدرجات، ويصلح بالهم، يُرضي خُصَمَاءَهُمْ، ويقبل أعمالهم)[١]. أ.هـ.

وقال الآلوسي: (سيوصلهم إلى ثواب تلك الأعمال من النعيم المقيم، والفضل العظيم، أو سيثبت جل شأنه في الدنيا هدايتهم، والمراد الوعد بأن يحفظهم سبحانه ويصونهم عما يورث الضلال، وحبط الأعمال، والمراد به إصلاح شأنهم في الدين والدنيا)[٢]. أ.هـ.

إن هذا القتال الذي تتحقق به الهداية إنما يحصل إذا توافرت أسبابه كالعدوان على

---

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن، (٤ / ٢١١) .

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (١٣ / ٢٠٠) .

الدين أو النفس أو العرض أو الأرض أو المال وغيرها مثل قبر الفتنة، وتأمين سير الدعوة[1]، أما إذا انعدمت دواعيه فلا تتحقق به الهداية بل تكون عواقبه وخيمة، وآثاره جسيمة على الإنسان في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠].

(١) انظر: روائع البيان تفسير آيات الأحكام، محمد علي الصابوني، (١ / ٢٣٥)، الناشر: مكتبة الغزالي - دمشق، مؤسسة مناهل العرفان – بيروت- الطبعة: الثالثة، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.

المبحث الثالث

«من منعوا الهداية في القرآن الكريم»

المطلب الأول: الكافرون

المستقرىء لآي القرآن الكريم يجد أن هذا الصنف "الكافرون" قد منع من الهداية أعني "التوفيق الإلهي"، وقد جاء ذلك في سياق الحديث عن:

- الإنفاق رياء وسمعة: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

أخبر الله تعالى هنا في هذه الآية أنه لا يسدد المنفقين رياء؛ لإصابة الحق في نفقاتهم وغيرها، فيوفقهم لها، وهم للباطل عليها مؤثرون، ولكنه يتركهم في ضلالتهم يعمهون؛ أن يتجنب عنها؛ فالآية فيها تعريض بأن الرياء والمن والأذى على الإنفاق من صفات الكفار؛ ولا بد للمؤمن وكأن الله – سبحانه- يقول للمؤمنين: لا تكونوا كالمنافقين الذين هذا المثل صفة أعمالهم، فتبطلوا أجور صدقاتكم بمنّكم على من تصدقتم بها عليه وأذاكم لهم، كما أبطل أجر نفقة المنافق الذي أنفق ماله رئاء الناس، وهو غير مؤمن بالله واليوم الآخر عند الله – تعالى-.[1]

إن أَعْمَال الْمُرَائِينَ تَذْهَبُ وَتَضْمَحِلُّ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنْ ظَهَرَ لَهُمْ أَعْمَالٌ فِيمَا يَرَى النَّاسُ كَالتُّرَابِ[2] كما قال سبحانه: ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]؛ وفي هذه تربية عظيمة للمسلم على أن يخلص عمله لله رب العالمين؛ ولذا

(١) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، (٥/ ٥٢٦)، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، (١ / ١٥٨).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، (١/ ٥٣٣).

جاء الوعيد الشديد؛ عَنْ أَبِي ذَرٍّ عَنِ النَّبِيِّ ـ ﷺ ـ قَالَ: «**ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**» قَالَ: فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ ثَلَاثَ مِرَارًا، قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا، مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**الْمُسْبِلُ، وَالْمَنَّانُ، وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ**»(١)

قال السعدي: (ينهى عباده لطفاً بهم ورحمة عن إبطال صدقاتهم بالمن والأذى؛ ففيه أن المن والأذى يبطل الصدقة، ويستدل بهذا على أن الأعمال السيئة تبطل الأعمال الحسنة، وفي هذه الآية حث على تكميل الأعمال، وحفظها من كل ما يفسدها؛ لئلا يضيع العمل سدى؛ فالمنة والأذى مبطلان للأعمال، فتصير الأعمال بمنزلة الذي يعمل لمراءاة الناس ولا يريد به الله والدار الآخرة، فهذا لا شك أن عمله من أصله مردود؛ لأن شرط العمل أن يكون لله وحده، وهذا في الحقيقة عمل للناس لا لله، فأعماله باطلة وسعيه غير مشكور، فمثله المطابق لحاله ﴿كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾ وهو الحجر الأملس الشديد ﴿عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ﴾ أي: مطر غزير ﴿فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا﴾ أي: ليس عليه شيء من التراب، فكذلك حال هذا المرائي، قلبه غليظ قاس بمنزلة الصفوان، وصدقته بمنزلة التراب الذي على الصفوان، إذا رآه الجاهل بحاله ظن أنه أرض زكية قابلة للنبات، فإذا انكشفت حقيقة حاله زال ذلك التراب، وتبين أن عمله بمنزلة السراب، وأن قلبه غير صالح لنبات الزرع وزكائه عليه، بل الرياء الذي فيه والإرادات الخبيثة تمنع من انتفاعه بشيء من عمله، فلهذا {لا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ} من أعمالهم التي اكتسبوها؛ لأنهم وضعوها في غير موضعها؛ وجعلوها لمخلوق مثلهم لا يملك لهم ضرراً ولا نفعاً، وانصرفوا عن عبادة من تنفعهم عبادته، فصرف الله قلوبهم عن الهداية؛ فلهذا قال: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان- - بَابُ بَيَانِ غِلَظِ تَحْرِيمِ إِسْبَالِ الْإِزَارِ، وَالْمَنِّ بِالْعَطِيَّةِ، وَتَنْفِيقِ السِّلْعَةِ بِالْحَلِفِ، وَبَيَانِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ، (١/ ١٠٢ رقم ١٠٦).

ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾)(١). أ.هـ.

- التعرض والاعتداء على شخص الرسول الكريم ﷺ: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٧].

ذكر المفسرون في المراد ب "الهداية" هنا قولان:

أحدهما: لا يهديهم إلى الجنة.

الثاني: لا يعينهم على بلوغ غرضهم، ولا يمكنهم مما يريدون إنزاله بك من الهلاك.(٢)

وهي إما على الخصوص فيمن سبق في علم أنه لا يؤمن، وإما على العموم على أن لا هداية في الكفر، ولا يهدي الله الكافر في سبل كفره.(٣)

إن إيراد نفي الهداية هنا في تضاعيف الآيات الواردة في حق أهل الكتاب، لما أن الكل قوارع يسوء الكفار سماعها، ويشق على الرسول ـ ﷺ ـ مشافهتهم بها، وخصوصاً ما يتلوها من النص الناعي عليهم كمال ضلالتهم.(٤)

فنفي الهداية يورث الطمأنينة في قلوب المؤمن تجاه ما يلقاه من أذى الرسول – ﷺ - ؛ ومن القضاء على دعوته، فالله ناصر دينه، وجاعل العاقبة لمن اتبعه؛ فمن يقدم على إيذاءه ـ ﷺ ـ بأي صورة أو وسيلة؛ فهو ليس من أهل الإيمان بل هو ممن منعوا الهداية؛ فأعمى الله بصيرتهم عن الحق والصواب، وآثروا الغي على الرشاد؛ عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ـ ﷺ ـ يُحْرَسُ حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (ص ١١٣).

(٢) انظر: زاد المسير في علم التفسير، (١/ ٥٦٩)، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل، (١/ ٤٦٢).

(٣) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٢/ ٢١٨).

(٤) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٣/ ٦١).

فَأَخْرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ـ ﷺ ـ رَأْسَهُ مِنَ القُبَّةِ، فَقَالَ لَهُمْ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ انْصَرِفُوا فَقَدْ عَصَمَنِي اللَّهُ**».(١)

قال ابن عاشور: (﴿وَٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ يَتَبَيَّنَ أَنَّ الْمُرَادَ بالنّاس كفارهم، وليؤمي إِلَى أَنَّ سَبَبَ عَدَمِ هِدَايَتِهِمْ هُوَ كُفْرُهُمْ.

وَالْمُرَادُ بِالْهِدَايَةِ هُنَا تَسْدِيدُ أَعْمَالِهِمْ وَإِتْمَامُ مُرَادِهِمْ، فَهُوَ وَعْدٌ لِرَسُولِهِ بِأَنَّ أَعْدَاءَهُ لَا يَزَالُونَ مَخْذُولِينَ لَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا لِكَيْدِ الرَّسُولِ وَالْمُؤْمِنِينَ لُطْفًا مِنْهُ تَعَالَى، وَلَيْسَ الْمُرَادُ الْهِدَايَةَ فِي الدِّينِ لِأَنَّ السِّيَاقَ غَيْرُ صَالِح لَهُ)(٢). أ.هـ.

- التقديم والتأخير في شرع الله –عَزَّوَجَلَّ-، أو التحليل والتحريم دون إذن الشارع الحكيم:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ زُيِّنَ لَهُمۡ سُوٓءُ أَعۡمَٰلِهِمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة: ٣٧].

بين الله في الآية هنا أنه لا يوفق لمحاسن الأفعال وجميلها، وما لله فيه رضًى، القومَ الجاحدين توحيدَه، والمنكرين نبوة محمد ـ ﷺ ـ ، ولكنه يخذلهم عن الهُدى، كما خذَّل هؤلاء الناس عن الأشهر الحرم، فبدلوا وغيروا فيها بما يوافق هواهم وشهواتهم.(٣)

قال ابن كثير: (هَذَا مِمَّا ذَمَّ اللَّهُ بِهِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ تَصَرُّفِهِمْ فِي شَرْعِ اللَّهِ بِآرَائِهِمُ الْفَاسِدَةِ، وَتَغْيِيرِهِمْ أَحْكَامَ اللَّهِ بِأَهْوَائِهِمُ الْبَارِدَةِ، وَتَحْلِيلِهِمْ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَتَحْرِيمِهِمْ مَا أَحَلَّ اللَّهُ، فَإِنَّهُمْ كَانَ فِيهِمْ مِنَ الْقُوَّةِ الْغَضَبِيَّةِ وَالشَّهَامَةِ وَالْحَمِيَّةِ مَا اسْتَطَالُوا بِهِ مُدَّةَ الْأَشْهُرِ الثَّلَاثَةِ فِي التَّحْرِيمِ الْمَانِعِ لَهُمْ مِنْ قضاء أو طارهم مِنْ قِتَالِ أَعْدَائِهِمْ، فَكَانُوا قَدْ أَحْدَثُوا

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ـ ﷺ ـ ، بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ المَائِدَةِ، (٥/ ٢٥١ رقم ٣٠٤٦)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ»، وقال الألباني: "حسن".

(٢) التحرير والتنوير، (٦/ ٢٦٤).

(٣) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، (١٤/ ٢٤٥).

قَبْلَ الإسلام بمدة تحليل المحرم فأخروه إِلَى صَفَرٍ فَيُحِلُّونَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَيُحَرِّمُونَ الشَّهْرَ الحلال ليواطئوا عدة ما حرم الله الْأَشْهُرِ الْأَرْبَعَةِ)[1]

﴿أَعۡمَٰلِهِمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ أَيِ: الْمُصِرِّينَ عَلَى كُفْرِهِمُ، الْمُسْتَمِرِّينَ عَلَيْهِ، فَلَا يَهْدِيهِمْ هِدَايَةً تَوَصِّلُهُمْ إِلَى الْمَطْلُوبِ، وَأَمَّا الْهِدَايَةُ بِمَعْنَى الدَّلَالَةِ عَلَى الْحَقِّ وَالْإِرْشَادِ إِلَيْهِ فَقَدْ نَصَبَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِجَمِيعِ عِبَادِهِ.[2]

- الردة بعد الإيمان بسبب استحباب الحياة الدنيا، وتفضيلها على الآخرة: قال تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ * ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [النحل: ١٠٦: ١٠٧].

هذا صنف آخر منع هداية الرحمن؛ لأنهم أحبوا الحياة الدنيا الدنيئة الحاضرة الفانية حباً عظيماً، فآثروها على الآخرة الباقية الفاخرة؛ لأنهم رأوا ما فيه المؤمن من الضيق، والكافر من السعة، فهؤلاء علم الله استمرارهم على الكفر؛ فخذلهم وسلط الشيطان عليهم يحتالهم عن دينهم[3]، فالغضب والعذاب يلحقانهم بسبب استحبابهم الدنيا على الآخرة، واستحقاقهم خذلان الله بكفرهم، وهم الكاملون في الغفلة؛ فلا أحد أغفل منهم؛ لأن الغفلة عن تدبر العواقب هي غاية الغفلة ومنتهاها.[4]

مما سبق تبين لنا أن هؤلاء الكافرين ممن سبق ذكرهم كالمنفق ماله رئاء، والمحلل والمحرم في شره الله، والمرتد بعد الإيمان، والمتعرض للجناب النبوي بالأذى، قد انصبغ الكفر في قلوبهم، فلو جاءتهم كل آية، لم يؤمنوا؛ وقد علم الله أزلاً أنهم لن يهتدوا، فمنعوا

(١) تفسير القرآن العظيم، (٤/ ١٣٢).

(٢) فتح القدير، (٢/ ٤١١).

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (١١/ ٢٦٠).

(٤) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (٢/ ٦٣٧).

من التوفيق للإيمان به سبحانه كما قال سبحانه في آية أخرى: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهۡدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل: ١٠٤]، وقال أيضاً: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا * إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا﴾ [النساء: ١٦٩،١٦٨].

المطلب الثاني: الظالمون

بين الله – عَزَّوَجَلَّ- في كتابه العزيز أن الظلم سبب رئيس في حرمان الإنسان من الهداية في كل الأمور، لاسيما إلى منازل الكمالات العالية، والظُّلْمُ يقال في مجاوزة الحق الذي يجري مجرى نقطة الدائرة، ويقال فيما يكثر وفيما يقلّ من التجاوز، ولهذا يستعمل في الذنب الكبير، وفي الذنب الصغير، ولذلك قيل لآدم – عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- في تعديه ظالم، وفي إبليس ظالم، وإن كان بين الظُّلْمَيْنِ بون بعيد.

قال بعض الحكماء: الظُّلْمُ ثلاثةٌ: الأول: ظُلْمٌ بين الإنسان وبين الله تعالى، وأعظمه: الكفر والشّرك والنّفاق.

الثاني: ظُلْمٌ بينه وبين الناس، وإيّاه قصد بقوله: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الشورى: ٤٠]، وبقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [الشورى: ٤٢].

الثالث: ظُلْمٌ بينه وبين نفسه، وإيّاه قصد بقوله: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ﴾ [فاطر: ٣٢]؛ وكل هذه الثّلاثة في الحقيقة ظُلْمٌ

للنّفس، فإنّ الإنسان في أول ما يهم بالظُّلْمِ فقد ظَلَمَ نفسه، فإذا الظَّالِمُ أبداً مبتدئ في الظُّلْمِ(١).

وقد دل الاستقراء من خلال سياق الآيات القرآنية على أن الظلم مانع من وصول الهداية، وهذا ما يستضح من خلال الآتي:

- سياق محاجاة إبراهيم – عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- للنمرود: قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

فالْكَافِرَ أَوْرَدَ نَفْسَهُ مَوَارِدَ الْبَلَاءِ وَالْعِقَابِ بِسَبَبِ ذَلِكَ الْكُفْرِ، فَكَانَ ظَالِمًا لِنَفْسِهِ(٢)؛ والله لا يرشد الظالمين في حججهم على ظلمهم؛ لأنه لا هدى في الظلم، فظاهره العموم، ومعناه الخصوص؛ لأن الله قد يهدي الظالمين بالتوبة والرجوع إلى الإيمان، ويحتمل أن يكون الخصوص فيمن يوافي ظالماً(٣).

وقد لخص أبو حيان نفي هذه الهداية هنا فقال: (إِخْبَارٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِأَنَّ الظَّالِمَ لَا يَهْدِيهِ، وَظَاهِرُهُ الْعُمُومُ، وَالْمُرَادُ هِدَايَةٌ خَاصَّةٌ، أَوْ ظَالِمُونَ مَخْصُوصُونَ، فَمَا ذُكِرَ فِي الْهِدَايَةِ الْخَاصَّةِ أَنَّهُ لَا يُرْشِدُهُمْ فِي حُجَّتِهِمْ، وَقِيلَ: لَا يَهْدِيهِمْ إِلَى الثَّوَابِ فِي الْآخِرَةِ وَلَا إِلَى الْجَنَّةِ، وَقِيلَ: لَا يَلْطُفُ بِهِمْ وَلَا يُلْهِمُ وَلَا يُوَفِّقُ، وَخَصَّ الظَّالِمُونَ بِمَنْ يُوَافِي ظَالِمًا أَيْ كَافِرًا.

وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ هَذَا إِخْبَارٌ مِنَ اللَّهِ بِأَنَّ مَنْ حَكَمَ عَلَيْهِ، وَقَضَى بِأَنْ يَكُونَ ظَالِمًا أَيْ كَافِرًا وَقَدَّرَ أَنْ لَا يُسْلِمَ، فَإِنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَقَعَ هِدَايَةٌ مِنَ اللَّهِ لَهُ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ

(١) انظر: المفردات في غريب القرآن، (ص ٥٣٧، ٥٣٨).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، (٨/ ٢٨٤).

(٣) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (١/ ٣٤٧).

الْعَذابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ)[1]. أ.هـ.

- سياق من قامت عليهم الحجج والبراهين على صدق ما جاءهم به الرسول ـ ﷺ ـ، ووضح لهم الأمر، ثم ارتدوا إلى ظلمة الشرك، فبين الله كيف يستحق هؤلاء الهداية بعد ما تلبسوا به من العماية والضلالة؟![2] قال تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [آل عمران: ٨٦].

- سياق من والوا من لا تصلح موالاته من اليهود والنصارى قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

وهذا تغليظ من الله وتشديد في وجوب مجانبة المخالف في الدين واعتزاله إذا لم يأمن الفتنة على الدين والعرض والنفس[3]؛ فعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ـ ﷺ ـ بَعَثَ سَرِيَّةً إِلَى خَثْعَمٍ فَاعْتَصَمَ نَاسٌ بِالسُّجُودِ، فَأَسْرَعَ فِيهِمُ القَتْلَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ـ ﷺ ـ فَأَمَرَ لَهُمْ بِنِصْفِ العَقْلِ وَقَالَ: «**أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِ المُشْرِكِينَ**». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلِمَ؟ قَالَ: «**لَا تَرَاءَى نَارَاهُمَا**»[4]

- سياق من كان بانيًا بناءه في غير حقه وموضعه، ومن كان منافقًا مخالفًا بفعله أمرَ الله

---

(١) البحر المحيط في التفسير، (٢/ ٦٣٠).

(٢) تفسير القرآن العظيم، (٢/ ٦١).

(٣) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (٦/ ١٨٧).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه، بَابُ النَّهْيِ عَنْ قَتْلِ مَنِ اعْتَصَمَ بِالسُّجُودِ، (٣/ ٤٥ رقم ٢٦٤٥)، واللفظ له، والطبراني في المعجم الكبير (رقم ٣٨٣٦)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، (رقم ٩٢٩٠)، "رواه الطبراني ورجاله ثقات"، ت: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤ هـ.

وأمرَ رسوله ـ ﷺ ـ.[1]: قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التوبة: ١٠٩]، فهؤلاء منعوا إلى ما فيه صلاحهم ونجاتهم؛ عقوبة لهم على نفاقهم[2].

قال أبو حيان – تعقيباً على هذا النفي-: (إِشَارَةٌ إِلَى تَعَدِّيهِمْ وَوَضْعِ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ حَيْثُ بَنَوْا مَسْجِدَ الضِّرَارِ؛ إِذِ الْمَسَاجِدُ بُيُوتُ اللَّهِ يَجِبُ أَنْ يُخْلَصَ فِيهَا الْقَصْدُ وَالنِّيَّةُ لِوَجْهِ اللَّهِ وَعِبَادَتِهِ، فَبَنَوْهُ ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ)[3]. أ.هـ.

- اتباع الهوى، وإصرارهم على الباطل، وتجاوزهم لكل حدود الحق والخير: قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٠].

قال ابن جرير – تعقيباً على الآية الأولى-: (فإن لم يجبك هؤلاء القائلون للتوراة والإنجيل: "سحران تظاهرا"، الزاعمون أن الحق في غيرهما من اليهود يا محمد إلى أن يأتوك بكتاب من عند الله، هو أهدى منهما، فاعلم أنما يتبعون أهواءهم، وأن الذي ينطقون به ويقولون في الكتابين، قول كذب وباطل، لا حقيقة له.

(١) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، (١٤/ ٤٩٤).

(٢) انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، (١/ ٧١١)، ط: ١: دار الكلم الطيب، بيروت، ١٤١٩هـ.

(٣) البحر المحيط في التفسير، (٥/ ٥٠٧).

﴿وَمَنْ أَضَلُّ﴾ عن طريق الرشاد، وسبيل السداد ممن اتبع هوى نفسه بغير بيان من عند الله، وعهد من الله، ويترك عهد الله الذي عهده إلى خلقه في وحيه وتنزيله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله لا يوفق لإصابة الحق وسبيل الرشد القوم الذين خالفوا أمر الله، وتركوا طاعته، وكذبوا رسوله، وبدلوا عهده، واتبعوا أهواء أنفسهم إيثاراً منهم؛ لطاعة الشيطان على طاعة ربهم)[1] أ.هـ.

فهولا حرموا نعمة الهداية نتيجة ظلموا أنفسهم بالانهماك في اتباع الهوى، والإعراض عن الآيات الهادية إلى الحق المبين؛ فعَن أَنَس؛ أَن النَّبِيّ ـ ﷺ ـ قَالَ: **"ثَلاثُ مُهْلِكَاتٍ شُحٌّ مُطَاعٌ وَهَوًى مُتَّبَعٌ وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِرَأْيِهِ"**[2].

المطلب الثالث: الفاسقون

الفسق: هو الخروج عن طاعة الله – سبحانه-[3] يقال: فَسَقَ فلان: خرج عن حجر الشرع، وذلك من قولهم: فَسَقَ الرُّطَبُ، إذا خرج عن قشرة، وهو أعمّ من الكفر، والفِسْقُ يقع بالقليل من الذنوب وبالكثير، لكن تعورف فيما كان كثيراً، وأكثر ما يقال الفَاسِقُ لمن التزم حكم الشرع وأقر به، ثمّ أخل بجميع أحكامه أو ببعضه، وإذا قيل للكافر الأصلي:

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، (١٩/ ٥٩٢). أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٥ / ٣٢٨) ثم قال: لم يرو هذا الحديث عن الحسن إلا حميد بن الحكم، تفرد به: إبراهيم بن محمد بن عرعرة "وأبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٢ / ١٦٠) وقال: غريب من حديث أنس تفرد به عن حميد ورواه محمد بن عرعرة، عن حميد نحوه.

(٢) أخرجه البزار في مسنده، (١٣/ ٤٨٦ رقم ٧٢٩٣)، الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة- الطبعة: الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (١ / ٢٤٦).

فَاسِقٌ؛ فلأنه أخل بحكم ما ألزمه العقل واقتضته الفطرة[1].

وقد علم من خلال الاستقراء أن "الفسق" من أعظم موانع الهداية، وفيما يلي بيان ذلك:

- من آثر محبة الآباء والأبناء على محبة الله ورسوله ـ ﷺ ـ ، وعلى الجهاد من أجل إعلاء كلمة الدين: قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

قال ابن عاشور: (وَهَذَا تَهْدِيدٌ بِأَنَّهُمْ فَضَّلُوا قَرَابَتَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ عَلَى مَحَبَّةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَعَلَى الْجِهَادِ فَقَدْ تَحَقَّقَ أَنَّهُمْ فَاسِقُونَ)[2]. أ.هـ.

وقال السعدي: (﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ أي: الخارجين عن طاعة الله، المقدمين على محبة الله شيئاً من المذكورات، وهذه الآية أعظم دليل على وجوب محبة الله ورسوله، وعلى تقديمها على محبة كل شيء، وعلى الوعيد الشديد والمقت الأكيد على من كان شيء من هذه المذكورات أحب إليه من الله ورسوله، وجهاد في سبيله)[3].

- سياق الحديث عن النفاق والمنافقين قال تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٨٠]، وقال تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ

(١) انظر: المفردات في غريب القرآن، (ص ٦٣٦).

(٢) التحرير والتنوير، (١٠/ ١٥٤).

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (ص ٣٣٢).

تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [المنافقون: ٦].

قال أبو السعود: (الفسقَ في كل شيء عبارةٌ عن التمرُّد والتجاوز عن حدوده أي لا يهديهم هدايةً مُوصلةً إلى المقصد البتةَ لمخالفة ذلك للحكمة التي عليها يدورُ فلكُ التكوين والتشريعِ وأما الهدايةُ بمعنى الدِلالة على ما يوصِل إليه فهي متحققةٌ لا محالة ولكنهم بسوء اختيارِهم لم يقبلوها فوقعوا فيما وقعوا وهو تذييلٌ مؤكدٌ لما قبله من الحُكم فإن مغفرةَ الكافرِ إنما هي بالإقلاع عن الكفر والإقبال إلى الحق والمتهمك فيه المطبوعُ عليه بمعزل من ذلك)[1]. أ.هـ.

- سياق الحديث عن قوم موسى – عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [الصف: ٥].

وقوم موسى – عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- قد تعددت مظاهر فسقهم في الأعمال من ذلك: احتيالهم على أوامر الله وشرعه قال تعالى: ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٣].

وتلكأهم واعتراضهم عند دخول الأرض المقدسة، وتمردوا على موسى وخالفوه، ولم يبق معه مطيع موافق يثق به إلا هارون[2]، وسمع – عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- قولهم من الكفر، ورأى عصيانهم تبرأ إلى الله منهم، وقال داعياً عليهم: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [المائدة: ٢٥].

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٤ / ٨٧).

(٢) انظر: الكشاف عن حقائق التنزيل، (١ / ٦٢١).

وتضيعهم وتفريطهم في العمل بأحكام التوراة حينما كَتَبَ الله لموسى في الألواح مَوَاعِظَ وَأَحْكَامًا مُفَصَّلَةً مُبَيِّنَةً لِلْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَكَانَتْ هَذِهِ الْأَلْوَاحُ مُشْتَمِلَةً عَلَى التَّوْرَاةِ، وأمر قومه أن يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِها، وهدد من عَصَاهُ وَخَالَفَ أَمْرَهُ[1] قال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٥].

قال القرطبي: (وفسق قوم موسى بسبب ميلهم عن الحق والهدى مع علمهم به، وتعمدهم إيصال الأذى إلى موسى، وَذَلِكَ حِينَ رَمَوْهُ بِالْأُدْرَةِ، وَمِنَ الْأَذَى مَا ذُكِرَ فِي قِصَّةِ قَارُونَ: "إِنَّهُ دَسَّ إِلَى امْرَأَةٍ تَدَّعِي عَلَى مُوسَى الْفُجُورَ"، وَمِنَ الْأَذَى قَوْلَهُمْ: ﴿قَالُوا۟ يَـٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، وقولهم: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤]، وَقَوْلُهُمْ: إِنَّكَ قَتَلْتَ هَارُون)[2]. أ.هـ.

مما سبق تبين لنا أن الفاسقين الذين منعوا الهداية إلى الإيمان أصدق من وصفوا به في القرآن الكريم هم: "المنافقون، وقوم موسى – عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ-.

المطلب الرابع: كيد الخائنين

من أعظم موانع موانع الهداية إلى الخير والعفة "الخيانة في العرض والمال وغيرهما"، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٢]. أي: لا يهديهم بسبب كيدهم، أوقعت الهداية المنفية على الكيد، وهي واقعة عليهم تجوزاً، للمبالغة؛ لأنه إذا لم يهد السبب، علم منه عدم هداية مسببه بالطريق

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، (٣ / ٤٢٦).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، (١٨ / ٨٢).

الأولى[١].

وقد ذكر المفسرون في معنى نفي الهداية هنا قولان:

الأول: قال ابن عباس ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لا يصوِّب عمل الزناة.

الثاني: قال غيره: لا يُنفِذه ولا يسدده بل يُبطله ويُزهِقه، فلا يرشد من خان أمانته، ويفضحه في عاقبته، ولا يصلح حاله[٢].

الْكَيْدُ: ضرب من الاحتيال، وقد يكون مذموماً وممدوحاً، وإن كان يستعمل في المذموم أكثر[٣]؛ وإنما قررت امرأة العزيز ذلك، والتزمت الأمانة في الحديث عن يوسف ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ، وابتعدت عن الخيانة؛ لأن الله- تعالى- لا يرضاها ولا يقبلها.

فأنت ترى أن هذه المرأة التي شهدت على نفسها شهادة لا تبالي بما يترتب عليها بشأنها، قد عللت شهادتها هذه بعلتين:

احداهما: كراهتها أن تخونه في غيبته بعد أن فقد الدفاع عن نفسه وهو في السجن.

ثانيتهما: علمها بأن الله- تعالى- لا يهدى كيد الخائنين ولا يسدده، وإنما يبطله ويزهقه[٤].

لقد دل النفي في الآية الكريمة ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾ أن كل خائن، لا بد أن تعود خيانته ومكره على نفسه، ولا بد أن يتبين أمره ولو بعد حين من الزمان[٥]؛ ولذا صرف الله عن – يوسف – عَلَيْهِ السَّلَامُ- كيد النسوة، وبرَّأ ساحته ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [يوسف: ٣٤].

---

(١) انظر: محاسن التأويل، القاسمي، (٦ / ١٨٧) ت: محمد باسل، ط: ١: دار الكتب العلمية، ١٤١٨ هـ

(٢) انظر: زاد المسير في علم التفسير، (٢ / ٤٤٨)، والوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري، (ص ٤٩٩).

(٣) انظر: المفردات في غريب القرآن، (ص ٧٢٨).

(٤) انظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، (٧ / ٣٧٧).

(٥) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (ص ٤٠٠).

وهكذا كل باطل لا بد أن تكشف الأيام زيفه، وتفضح وجهه المطلى بالزور والبهتان فما أعظم أن يتحلى المؤمن بالعفة، ويتبرأ من الخيانة والغدر؛ وقد جاءت النصوص الشريفة تحذر من الخيانة، وتندد بها وبفاعليها؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ: **"مِنْ عَلَامَاتِ الْمُنَافِقِ ثَلَاثَةٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ"**(١)؛ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ ﷺ ـ: **«أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ، وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ»**(٢)

وبشرت النصوص أيضاً المتعففين ذوي الأمانات؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ـ ﷺ ـ، قَالَ: **"سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ بِعِبَادَةِ اللهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ يَمِينُهُ مَا تُنْفِقُ شِمَالُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ"**(٣)

قال ابن عاشور: (وَمَعْنَى: ﴿لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ لَا يُنَفِّذُهُ وَلَا يُسَدِّدُهُ.

فَأُطْلِقَتِ الْهِدَايَةُ الَّتِي هِيَ الْإِرْشَادُ إِلَى الطَّرِيقِ الْمُوَصِّلَةِ عَلَى تَيْسِيرِ الْوُصُولِ، وَأُطْلِقَ نَفْيُهَا عَلَى نَفْيِ ذَلِكَ التَّيْسِيرِ، أَيْ إِنَّ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الْكَوْنِ جَرَتْ عَلَى أَنَّ فُنُونَ الْبَاطِلِ وَإِنْ رَاجَتْ أَوَائِلُهَا لَا تَلْبَثُ أَنْ تَنْقَشِعَ ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَـٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [سُورَة الْأَنْبِيَاء: ١٨])(٤). أ.هـ.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، بَابُ عَلاَمَةِ المُنَافِقِ، (١/ ١٦ رقم ٣٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، بَابُ بَيَانِ خِصَالِ الْمُنَافِقِ (٢/٧٨ رقم ٥٩).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، بَابٌ فِي الرَّجُلِ يَأْخُذُ حَقَّهُ مَنْ تَحْتَ يَدِهِ، (٣/ ٢٩٠ رقم ٣٥٣٥). أخرجه أبوداود في كتاب البيوع ، الحكم على الحديث قال الألباني حسن صحيح.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحدود، بَابُ فَضْلِ مَنْ تَرَكَ الفَوَاحِشَ، (٨/ ١٦٣ رقم ٦٨٠٦)، ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب فَضْلِ إِخْفَاءِ الصَّدَقَةِ (٢/٧١٥ رقم ١٠٣١).

(٤) التحرير والتنوير، (١٢/ ٢٩٣).

المطلب الخامس: الضالون

"الضلال": الْحيرَة والعدول عَن الصَّوَاب والعدول عن الطريق المستقيم، أو الغيبوبة والضياع، والأول يقابله الهداية، والثاني يقابله الوجدان، والضلال يقال لكل عدولٍ عن المنهج عمدًا كان أو سهوًا، يسيرًا كان أو كثيرًا؛ لأن الطريق المستقيم الذي هو المرتضي صعب السلوك أو ممتنعٌ إلا علي من عصم الله(١).

وقد ذكر المفسرون أَن الضلال فِي الْقُرْآن الكريم على أوجه كثيرة، منها:

أَحدهَا: ""الاستدلال فِي الحكم، وَمِنْه قَوْله تَعَالَى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ﴾ [النساء: ١١٣] .

الثَّانِي: الغواية، وَمِنْه قَوْله تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلاًّ كَثِيرًا﴾ [يس: ٦٢] .

الثالث: الخطأ، وَمِنْه قَوْله تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [يوسف: ٨] .

الرابع: الشَّقَاء، وَمِنْه قَوْله: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ﴾ [سبأ: ٨] .

الخامس: الْبطلَان والإحباط، وَمِنْه قَوْله تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد: ٤].

السادس: العذاب، وَمِنْه قَوْله تَعَالَى: ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلاً﴾ [نوح: ٢٤] .

السابع: الضلال الَّذِي هُوَ ضد الْهدى، وَمِنْه قَوْله تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ

(١) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، (٢ / ٣٨٢) .

مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٦].

الثامن: عدم العلم بمبلغ الجرم ﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الشعراء: ٢٠]""[(١)].

يقول الفيروز آبادي: (وإضلال الله للإنسان على وجهين: أحدهما: أن يكون سببه الضلال، وهو أن يَضِل الإنسان فيحكم الله عليه بذلك فى الدنيا، ويعدل به عن طريق الجنَّة إلى النار فى الآخرة، وذلك الإضلال هو حق وعَدْل؛ فإنَّ الحكم على الضَّال بضلاله، والعدولَ به عن طريق الجنَّة إلى النار حق وعدل.

الثاني: من إضلال الله: هو أنَّ الله وضع جِبِلَّة الإنسان على هيئةٍ إذا راعى طريقاً محمودًا كان أو مذمومًا أَلِفه واستطابهُ، وتعسَّر عليه صرفُه وانصرافه عنه، ويصير ذلك كالطبْع الذى يأبى على النَّاقل، وإذا كان كذلك، وقد ذكر فى غير هذا الموضع أن كل شىء يكون سببًا فى وقوع فعل يصح نسبة ذلك الفعل إليه، فصحَّ أن ينسب ضلال العبد إلى الله من هذا الوجه، فيقال: أضلَّه الله لا على الوجه الذى يتصوره الجَهَلة.

ولمَا قلنا جعَل الإضلال المنسوب إلى نفسه للكافر والفاسق دون المؤمن، بل نفى عن نفسه إضلال المؤمن فقال: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٥]، وقال فى الكافرين: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد: ٨]؛ وعلى هذا النحو تقليب الأفئدة والأبصار، والخَتْم على القلب، وزيادة المرض فيها أيضاً)[(٢)]. أ.هـ.

والناظر في آيات الضلال في القرآن الكريم يجد أن الله – عَزَّوَجَلَّ- قد منع الهداية عن

(١) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، (ص٤٠٧)، والوجوه والنظائر للعسكري، (ص ٣٠٠، ٣٠١).

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، (٣ / ٤٨٣: ٤٨٥) .

صنف من الخلق فقال تعالى: ﴿إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [النحل: ٣٧]؛ وهم: "من سبق في علم الله أزلاً أنهم يختارون الكفر والغواية والضلال؛ فلا يخلق الله فيهم الهداية جبراً وقسراً فيمن يخلق فيه الضلالة بسوء اختياره"(١)؛ قال تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]؛ فالله – تعالى- ترك للعبد الحرية؛ لاختيار طريق الخير والشر﴿وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ﴾ [البلد: ١٠].

مما سبق يظهر لنا أن نفي الهداية هنا معناه: أن "من كتب عليه الضلالة، وقدرها له في قدره المحتوم، ولوحه المحفوظ، وذلك لأنه سلك سبيل الغواية ولم يتفكر ويتدبر، وسيطرت عليهم أوهام المادة، والجاه والسلطان وحب السيطرة؛ فإنه تكتب عليه الضلالة، ولترك الله - تعالى- له سادراً في غلوائه يكون كمن يضله(٢).

المطلب السادس: الكاذبون

المستقرىء للآيات القرآنية التي منع الله فيها الهداية عن بعض خلقه، يجد أن ثمة صنف حرمها فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ﴾ [الزمر: ٣].

وقد نعت الله – عَزَّوَجَلَّ- في الآية هذا الشقي بأمرين:

<u>الأول:</u> أنه مفتر على الله، يتقول عليه الباطل، ويضيف إليه ما ليس من صفته، ويزعم أن الآلهة ستشفع له عند ربه، وأن له ولداً افتراء عليه كقول المشركين الملائكة بنات الله قال تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًا أَشَهِدُواْ خَلۡقَهُمۡ سَتُكۡتَبُ شَهَٰدَتُهُمۡ وَيُسۡـَٔلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩]، وعزير وعيسى ابنا الله قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (١٠/ ١٠٤)، وزاد المسير، (٢/ ٥٥٩)، وفتح القدير، (٣/ ١٩٤).

(٢) انظر: زهرة التفاسير، (٨/ ٤١٧٧).

ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠].

الثاني: كفار لنعمه، جحوداً لربوبيته، فهو فاقد البصيرة، ولن يوفق للحق ودينه الإسلام، والإقرار بوحدانيته(١).

قال الفخر الرازي: (وَالْمُرَادُ أَنَّ مَنْ أَصَرَّ عَلَى الْكَذِبِ وَالْكُفْرِ، بَقِيَ مَحْرُومًا عَنِ الْهِدَايَةِ، وَالْمُرَادُ بِهَذَا الْكَذِبِ: وصفهم لهذه الْأَصْنَامِ بِأَنَّهَا آلِهَةٌ مُسْتَحِقَّةٌ لِلْعِبَادَةِ مَعَ عِلْمِهِمْ بِأَنَّهَا جَمَادَاتٌ خَسِيسَةٌ، وَهُمْ نَحَتُوهَا وَتَصَرَّفُوا فِيهَا، وَالْعِلْمُ الضَّرُورِيُّ حَاصِلٌ بِأَنَّ وَصْفَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ بِالْإِلَهِيَّةِ كَذِبٌ مَحْضٌ.

وَأَمَّا الْكُفْرُ: فَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مِنْهُ الْكُفْرَ الرَّاجِعَ إِلَى الِاعْتِقَادِ، والأمر هاهنا كَذَلِكَ فَإِنَّ وَصْفَهُمْ لَهَا بِالْإِلَهِيَّةِ كَذِبٌ، وَاعْتِقَادَهُمْ فِيهَا بِالْإِلَهِيَّةِ جَهْلٌ وَكُفْرٌ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ: كُفْرَانَ النِّعْمَةِ، وَالسَّبَبُ فِيهِ أَنَّ الْعِبَادَةَ نِهَايَةُ التَّعْظِيمِ، وَنِهَايَةُ التَّعْظِيمِ لَا تَلِيقُ إِلَّا بِمَنْ يَصْدُرُ عَنْهُ غَايَةُ الْإِنْعَامِ، وَذَلِكَ الْمُنْعِمُ هُوَ اللَّهُ- سُبْحَانَهُ- وَهَذِهِ الْأَوْثَانُ لَا مَدْخَلَ لَهَا فِي ذَلِكَ الْإِنْعَامِ فَالِاشْتِغَالُ بِعِبَادَةِ هَذِهِ الْأَوْثَانِ يُوجِبُ كُفْرَانَ نِعْمَةِ الْمُنْعِمِ الْحَقِّ)(٢).

إن هذا النفي ذكر المفسرون في تأويله في وجهان:

أحدهما: أنه لا يهديه في حال كفره وإصراره عليه؛ ولذا قرأ أنس بن مالك والجحدري: «كَذَّابٌ كَفَّارٌ»؛ وهذه المبالغة إشارة إلى المتوغل في الكفر، القاسي فيه الذي يظن به أنه مختوم عليه(٣)، وقرأ زيد بن علي: «كَذُوبٌ كفورٌ»، وفيها دلالة على الكثرة والتكرار(٤).

---

(١) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، (٢١/ ٢٥٢)، ومعالم التنزيل في تفسير القرآن، (٤/ ٧٩).

(٢) مفاتيح الغيب، (٢٦ / ٤٢٢) .

(٣) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٤ / ٥١٨)، والبحر المحيط في التفسير، (٩/ ١٨٣). وهما قراءتان شاذتان لمخالفتهما لرسم المصحف وقد قرأ بالأولى "كذاب" عاصم الجحدري كما في مختصر شواذ القرآن١٣١.

الثاني: أن ذلك مختص بمن قضي عليه بالموت على الكفر، أعاذنا الله من ذلك[1].

وقد تأكد ما سبق بعبارات أهل التفسير، وفيما طرف مما ذكروه:

قال أبو السعود: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي﴾ أي لا يُوفِّقُ للاهتداءِ إلى الحقِّ الذي هو طريقُ النَّجاةِ عن المكروهِ، والفوزُ بالمطلوبِ ﴿مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ﴾ أي راسخٌ في الكذبِ مبالغٌ في الكُفرِ كما يُعربُ عنه قراءةُ "كذَّاب وكَذُوب"؛ فإنَّهما فاقدانِ للبصيرةِ غيرُ قابلينِ للاهتداءِ؛ لتغييرهما الفطرةَ الأصليَّةَ بالتَّمرُّنِ في الضَّلالةِ، والتَّمادِي في الغيِّ)[2].

ولابن عاشور كلام دقيق لخص فيه جمال هذا النفي، وقد آثرت أن أنقله فقال:(وَهِدَايَةُ اللَّهِ الْمَنْفِيَّةُ عَنْهُمْ هِيَ: أَنْ يَتَدَارَكَهُمُ اللَّهُ بِلُطْفِهِ بِخَلْقِ الْهِدَايَةِ فِي نُفُوسِهِمْ، فَالْهِدَايَةُ الْمَنْفِيَّةُ هِيَ الْهِدَايَةُ التَّكْوِينِيَّةُ لَا الْهِدَايَةُ بِمَعْنَى الْإِرْشَادِ وَالتَّبْلِيغِ وَهُوَ ظَاهِرٌ، فَالْمُرَادُ نَفْيُ عِنَايَةِ اللَّهِ بِهِمْ، أَيِ الْعِنَايَةِ الَّتِي بِهَا تَيْسِيرُ الْهِدَايَةِ عَلَيْهِمْ حَتَّى يَهْتَدُوا، أَيْ لَا يُوَفِّقُهُمُ اللَّهُ بَلْ يَتْرُكُهُمْ عَلَى رَأْيِهِمْ غَضَبًا عَلَيْهِمْ.

وَالتَّعْبِيرُ عَنْهُمْ بِطَرِيقِ الْمَوْصُولِيَّةِ؛ لِمَا فِي الْمَوْصُولِ مِنَ الصَّلَاحِيَةِ؛ لِإِفَادَةِ الْإِيمَاءِ إِلَى عِلَّةِ الْفِعْلِ لِيُفِيدَ أَنَّ سَبَبَ حِرْمَانِهِمُ التَّوْفِيقَ هُوَ كَذِبُهُمْ وَشِدَّةُ كُفْرِهِمْ؛ فَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَرْسَلَ رَسُولَهُ إِلَى النَّاسِ فَبَلَّغَهُمْ كَانُوا عِنْد مَا يُبَلِّغُهُمُ الرَّسُولُ رِسَالَةَ رَبِّهِ بِمُسْتَوَى مُتَحَدٍّ عِنْدَ اللَّهِ بِمَا هُمْ عَبِيدٌ مُرَبوبُونَ ثُمَّ يَكُونُونَ أَصْنَافًا فِي تَلَقِّيهِمُ الدَّعْوَةَ فَمِنْهُمْ طَالِبُ هِدَايَةٍ بِقَبُولِ مَا فَهِمَهُ وَيَسْأَلُ عَمَّا جَهِلَهُ، وَيَتَدَبَّرُ وَيَنْظُرُ وَيَسْأَلُ، فَهَذَا بِمَحَلِّ الرِّضَى مِنْ رَبِّهِ فَهُوَ يُعِينُهُ وَيَشْرَحُ صَدْرَهُ لِلْخَيْرِ حَتَّى يُشْرِقَ بَاطِنُهُ بِنُورِ الْإِيمَانِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الْأَنْعَام:

---

(٤) انظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي (٩/ ٤٠٨)، ت: د/ أحمد محمد الخراط- الناشر: دار القلم، دمشق.

(١) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل، (٢ / ٢١٦) .

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٧ / ٢٤١) .

١٢٥]، وَلَا جَرَمَ أَنَّهُ كُلَّمَا تَوَغَّلَ الْعَبْدُ فِي الْكَذِبِ عَلَى اللَّهِ وَفِي الْكُفْرِ بِهِ ازْدَادَ غَضَبُ اللَّهِ عَلَيْهِ فَازْدَادَ بُعْدُ الْهِدَايَةِ الْإِلَهِيَّةِ عَنْهُ.

وَالتَّوْفِيقُ: خَلْقُ الْقُدْرَةِ عَلَى الطَّاعَةِ فَنَفْيُ هِدَايَةِ اللَّهِ عَنْهُمْ كِنَايَةٌ عَنْ نَفْيِ تَوْفِيقِهِ وَلُطْفِهِ لِأَنَّ الْهِدَايَةَ مُسَبَّبَةٌ عَنِ التَّوْفِيقِ فَعُبِّرَ بِنَفْيِ الْمُسَبَّبِ عَنْ نَفْيِ السَّبَبِ، وَكَذِبُهُمْ هُوَ مَا اخْتَلَقُوهُ مِنَ الْكُفْرِ بِتَأْلِيهِ الْأَصْنَامِ، وَمَا يَنْشَأُ عَنْ ذَلِكَ مِنِ اخْتِلَاقِ صِفَاتٍ وَهْمِيَّةٍ لِلْأَصْنَامِ وَشَرَائِعَ يَدِينُونَ بِهَا لَهُم.

والكفّار: الشَّديد الْكُفْرِ الْبَلِيغُهُ، وَذَلِكَ كُفْرُهُمْ بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ . ﷺ . وَبِالْقُرْآنِ بِإِعْرَاضِهِمْ عَنْ تَلَقِّيهِ، وَالتَّجَرُّدِ عَنِ الْمَوَانِعِ لِلتَّدَبُّرِ فِيهِ.

وَعُلِمَ مِنْ مُقَارَنَةِ وَصْفِهِمْ بِالْكَذِبِ بِوَصْفِهِمْ بِالْأَبْلَغِيَّةِ فِي الْكُفْرِ أَنَّهُمْ مُتَبَالِغُونَ فِي الْكَذِبِ أَيْضًا؛ لِأَنَّ كَذِبَهُمُ الْمَذْمُومَ إِنَّمَا هُوَ كَذِبُهُمْ فِي كُفْرِيَّاتِهِمْ، فَلَزِمَ مِنْ مُبَالَغَةِ الْكُفْرِ مُبَالَغَةُ الْكَذِب فِيهِ)[١].

المطلب السابع: المسرفون

ذكر الله – عَزَّوَجَلَّ- صنفاً آخراً قد منع من الهداية وهم "المسرفون": المقيمون على المعاصي، المستكثرون منها[٢] فقال سبحانه: ﴿وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٨].

وقد اختلف أهل التأويل في معنى "الإسراف" الذي ذكره المؤمن في هذا الموضع على أقوال:

---

(١) التحرير والتنوير، (٢٣/ ٣٢٣، ٣٢٤).

(٢) انظر: فتح القدير، (٤/ ٥٦١).

الأول: فقال بعضهم: عني به الشرك، وأراد: إن الله لا يهدي من هو مشرك به مفتر عليه، وهو قول قتادة.

الثاني: قال آخرون: عنى به من هو قتّال سفّاك للدماء بغير حق، وهو قول السدي[1].

والراجح – والله أعلم- أن المعنيين صحيحان؛ لأنه يمكن الجمع بينهما، فلا يتناقضان البتة، وهذا ما ذهب إليه ابن جرير فقال – رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: (والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله أخبر عن هذا المؤمن أنه عمّ بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ﴾ ، والشرك من الإسراف، وسفك الدم بغير حق من الإسراف، وقد كان مجتمعاً في فرعون الأمران كلاهما، فالحق أن يعم ذلك كما أخبر جل ثناؤه عن قائله، أنه عم القول بذلك)[2].

إن هذا النفي الوارد في هذه الآية السابقة فيه بيان أن سنة الله- تعالى- قد اقتضت أنه- سبحانه- لا يهدى إلى الحق والصواب، ومنهاج النجاة، من كان مسرفاً في أموره، متجاوزاً الحدود التي شرعها الله- تعالى- ومن كان كذاباً في إخباره عن الله- تعالى-، ولو كان موسى مسرفاً أو كذاباً، لذله الله وأهلكه ولم يستقم له أمر، فيتخلصون منه، ولما أيده الله- تعالى- بالمعجزات الباهرة، وبالحجج الساطعة الدالة على صدقه[3].

قال الجمل في "حاشيته": (فالجملة الكريمة كلام ذو وجهين نظرا لموسى وفرعون.

الوجه الأول: أن هذا إشارة الى الرمز والتعريض بعلو شأن موسى، والمعنى: إن الله هدى موسى إلى الإتيان بالمعجزات الباهرة، ومن هداه الله إلى ذلك لا يكون مسرفاً ولا كذاباً.

الوجه الثاني: أن يكون المراد أن فرعون مسرف في عزمه على قتل موسى، وكاذب في

(١) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٤/ ٥٥٦)، والبحر المحيط، (٩/ ٢٥٣).

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، (٢١/ ٣٧٧) .

(٣) انظر: الكشاف عن حقائق التنزيل، (٤/ ١٦٣)، وروح المعاني، (١٢/ ٣١٨).

ادعائه الألوهية، والله لا يهدى من كان كذلك)[١].

من خلال ما سبق تبين لنا أن "الإسراف" ومجاوزة الحد في كل فعل يفعله الإنسان في الفواحش والمنكرات أو النفقة أو القتل بغير وجه حق وغيرها من وجوه المعاصي[٢]، مانع عظيم، وحائل جسيم، يمنع عن العبد الهداية والتوفيق للإيمان ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ﴾ [غافر: ٣٤]، والله أعلم.

قال ابن القيم – رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: (إن مجاوزة الحد في كل أمر يضر بمصالح الدنيا والآخرة، بل يفسد البدن أيضاً؛ إذ إنه متى زادت أخلاطه عن حد العدل والوسط، ذهب من صحته وقوته بحسب ذلك، وهذا مطرد أيضاً في الأفعال الطبيعية كالنوم والسهر والأكل والشرب والجماع والحركة والرياضة والخلوة والمخالطة وغير ذلك)[٣].

(١) حاشية الجمل على الجلالين، (٤/ ١٣).

(٢) انظر: المفردات في غريب القرآن، (ص ٤٠٧).

(٣) الفوائد، (ص ١٤١)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت- الطبعة: الثانية، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م.

الخاتمة

الحمد لله الذي بحمده تتم الصالحات، وترفع الدرجات على ما أعان ويسر من إتمام هذا البحث،،، أما بعد،،، سأذكر أبرز النتائج والتوصيات التي توصلت إليها:

أولاً: اصطفى الله- عز وجل- أنبياءه ورسله – عَلَيْهِمُ السَّلَامُ- من بين خلقه، ومن مستلزمات هذا الاصطفاء أن هداهم الله – سبحانه- وليس معنى ذلك أنهم كانوا ضلالاً قبل ذلك، وإنما حاوزا الهداية وأشربوها حتى تمت لهم على أكمل الوجوه، وأعلى المراتب، فعصمهم الله – تعالى- من الذنوب صغيرها وكبيرها، جليلها وحقيرها.

ثانياً: مما يدل على منح الله الهداية لرسله وأنبيائه أن جلهم ولدوا ونشأوا في بيئات تعج بالشرك، ومظاهر الضلال لكنهم استنطقوا فطرتهم السوية، وأعملوا عقولهم، فهداهم الله للتوحيد الصافي.

ثالثاً: أخبر القرآن الكريم أن بعض الخلق قد شاء الله هدايتهم؛ لأنه علم فيهم أزلاً استحقاقهم لها، وصدق عزيمتهم، وخالص نيتهم كالصديقين والشهداء والصالحين كأصحاب الكهف، ومؤمن آل فرعون وغيرهم، وعلى النقيض هناك من انتكست فطرتهم، وخارت عزائمهم، فحرموا نعمة الهداية كالمنافقين والمشركين.

رابعاً: من يستقرئ آيات الهداية الخاصة يجد أن الله – سبحانه- قد نسبها لذاته المقدسة، فهو – تعالى- يسدد من يشاء من خلقه، ويُرشده إلى الطريق القويم على الحق الذي لا اعوجاج فيه.

خامساً: أخبر الله – عَزَّوَجَلَّ- في كتابه العزيز أن من آمن به – سبحانه، وبنبيه – ﷺ -، ثم أضاف إلى ذلك بالعمل الصالح، تحققت له الهداية التامة في الدنيا والآخرة.

سادساً: "الجهاد في سبيل الله، وبذل النفس" من أعظم أسباب منح الهداية للعبد في الدنيا والآخرة بما أعده لهم من النعيم المقيم، والأجر العظيم؛ لأن الإنسان يميل إلى حب الدنيا والملذات، وتتثاقل نفسه إلى الأرض كلما دعاها داعي الجهاد، فهو يؤثر البقاء في المال والأهل والوطن.

سابعاً: المستقرىء لآي القرآن الكريم يجد أن "الكافرين" قد منعوا من الهداية أعني "التوفيق الإلهي"، وقد جاء ذلك في سياق الحديث عن: الإنفاق رياء وسمعة، التعرض

والاعتداء على شخص الرسول الكريم ﷺ .، التقديم والتأخير في شرع الله –عَزَّوَجَلَّ، أو التحليل والتحريم دون إذن الشارع الحكيم، الردة بعد الإيمان بسبب استحباب الحياة الدنيا، وتفضيلها على الآخرة.

ثامناً: الظلم سبب رئيس في حرمان الإنسان من الهداية في كل الأمور، لاسيما إلى منازل الكمالات العالية، وقد جاء ذلك في سياق الإشراك بالله، ومن والوا من لا تصلح موالاته من اليهود والنصارى، واتباع الهوى، وأعمال المنافقين.

تاسعاً: "الفسق" من أعظم موانع الهداية، وقد جاء ذلك في سياق الحديث عمن آثر محبة الآباء والأبناء على محبة الله ورسوله ﷺ . ، وعلى الجهاد من أجل إعلاء كلمة الدين، وعن قوم موسى – عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ-، والنفاق والمنافقين.

عاشراً: من أعظم موانع الهداية إلى الخير والعفة "الخيانة في العرض والمال"، فالله لا يُنفِذ كيد الخائن، ولا يسدده بل يُبطله ويُزهِقه، ويفضحه في عاقبته، ولا يصلح حاله، وهكذا كل باطل لا بد أن تكشف الأيام زيفه، وتفضح وجهه المطلى بالزور والبهتان.

حادي عشر: الله قد منع الهداية عن "الضالين"، وهم: "من سبق في علم الله أزلاً أنهم يختارون الكفر والغواية والضلال؛ فلا يخلق الله فيهم الهداية جبراً وقسراً فيمن يخلق فيه الضلالة بسوء اختياره مع أن الله ترك للعبد الحرية؛ لاختيار طريق الخير والشر.

ثاني عشر: اقتضت سنة الله- سبحانه- أنه لا يهدى إلى الحق والصواب، ومنهاج النجاة، من كان مسرفاً في أموره، متجاوزاً الحدود التي شرعها الله- تعالى- ومن كان كذاباً في إخباره عن الله – تعالى-.

ثالث عشر: يوصي الباحث الباحثين أن يدققوا النظر في "اللفظة القرآنية"، ويقفوا مع جمال تركيبها، وحسن التعبير بها، وما تحملها من أسرار بيانية، وإشارات تربوية ففيها زاد عظيم، وخير وفير لمن طالع ذلك بتدبر وتمعن وتفكر.

أهم المصادر والمراجع

[١] **القرآن الكريم- كتاب الله الخالد-**

[٢] **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، ط:١ ، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨ هـ

[٣] **البحر المحيط في التفسير**، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي ابن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، ط: دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠ هـ

[٤] **التحرير والتنوير**، المؤلف : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، ط : الدار التونسية، ١٩٨٤هـ

[٥] **تفسير القرآن الحكيم**، محمد رشيد رضا، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م.

[٦] **تفسير القرآن العظيم**، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، ط: ١: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ

[٧] **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، أ.د / محمد سيد طنطاوي، ط: ١، دار نهضة مصر، القاهرة.

[٨] **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**- المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)- المحقق: عبد الرحمن ابن معلا اللويحق- الناشر: مؤسسة الرسالة- الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠ م.

[٩] **جامع البيان في تأويل القرآن**، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)- المحقق: أحمد محمد شاكر، ط: ١: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ

[١٠] **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه و أيامه = صحيح البخاري**- المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر- الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)- الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ

[١١] **الجامع لأحكام القرآن**، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، ط: ٢: دار الكتب المصرية،

القاهرة، ١٣٨٤هـ.

[١٢] **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، السيوطي، الناشر: دار الفكر – بيروت.

[١٣] **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، الآلوسي، ط:١، دار الكتب العلمية، ١٤١٥ هـ

[١٤] **زاد المسير في علم التفسير**، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن ابن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، ط: ١:دار الكتاب العربي،١٤٢٢ هـ

[١٥] **السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير**، للخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: ٩٧٧هـ)، الناشر: مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة، عام النشر: ١٢٨٥ هـ

[١٦] **سنن أبي داود**، لأبي داود سليمان بن الأشعث الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)- المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد- الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

[١٧] **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**- المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)- تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار- الناشر: دار العلم للملايين – بيروت- الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ- ١٩٨٧ م.

[١٨] **فتحُ البيان في مقاصد القرآن**، محمد صديق خان القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ)، الناشر: المكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا ، عام النشر: ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

[١٩] **فتح القدير**، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، ط: ١، دار ابن كثير، ١٤١٤ هـ

[٢٠] **الكشاف عن حقائق التنزيل**، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، ط: ٣: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ

[٢١] **اللباب في علوم الكتاب**، لابن عادل الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٥هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ-١٩٩٨م.

[٢٢] **لسان العرب**، ابن منظور، ط: ٣: دار صادر، بيروت، ١٤١٤ هـ

[٢٣] **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ابن عطية، ط: ١: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ

[٢٤] **مختار الصحاح**- المؤلف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر

الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)- المحقق: يوسف الشيخ محمد- الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا- الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

[٢٥] **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، المؤلف: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)- حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي- راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، ط: ١: دار الكلم الطيب، بيروت، ١٤١٩ هـ

[٢٦] **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ**. المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)- المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي- الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

[٢٧] **المصطلحات الأربعة في القرآن الكريم**، المؤلف: أبو الأعلى بن أحمد حسن المودودي (المتوفى: ١٣٩٩هـ)-تقديم: محمد عاصم الحداد- تخريج: محمد ناصر الدين الالباني.

[٢٨] **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، المؤلف : محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : ٥١٠هـ)، ط: ١: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠ هـ

[٢٩] **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، محمد عبد الباقي، ط: دار الحديث، ١٣٦٤هـ.

[٣٠] **معجم مقاييس اللغة**- المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)- المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر- عام النشر: ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

[٣١] **مفاتيح الغيب= التفسير الكبير**، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، ط: ٣: إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ

[٣٢] **المفردات في غريب القرآن**، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)- المحقق: صفوان عدنان الداودي، ط: ١: دار القلم، بيروت، ١٤١٢هـ

فهرس المحتويات

الموضوع **الصفحة**

مُقَدِّمَة ٨٩
المبحث الأول وقفة مع لفظ «الهداية» في القرآن الكريم ٩٤
المطلب الأول معنى «الهداية في اللغة والاصطلاح» ٩٤
المطلب الثاني أنواع «الهداية» كما جاءت في القرآن الكريم ٩٥
المطلب الثالث ورود لفظ «الهداية» في القرآن الكريم ٩٦
المبحث الثاني «من منحوا الهداية في القرآن الكريم» ١٠٠
المطلب الأول الأنبياء والرسل - <عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ ١٠٠
المطلب الثاني من شاء الله هدايتهم من الأولياء والصديقين ١٠٢
المطلب الثالث أهل الإيمان، والعمل الصالح ١٠٤
المطلب الرابع الذين قتلوا في سبيل الله - عَزَّوَجَلَّ- ١٠٦
المبحث الثالث «من منعوا الهداية في القرآن الكريم» ١٠٩
المطلب الأول: الكافرون ١٠٩
المطلب الثاني: الظالمون ١١٤
المطلب الثالث: الفاسقون ١١٨
المطلب الرابع: كيد الخائنين ١٢١
المطلب الخامس: الضالون ١٢٤
المطلب السادس: الكاذبون ١٢٦
المطلب السابع: المسرفون ١٢٩
الخاتمة ١٣٢
أهم المصادر والمراجع ١٣٤
فهرس المحتويات ١٣٧